

History of teaching criticism in Arabic literature in general and poetry in particular

تاريخ تعليمية النقد في الأدب العربي عموما والشعر خصوصا

taareekh ta'leemya annaqd fee al'adb al'arbee 'amoumaa washsha'r khasousaa

حسين الاكحل¹ LAKEHAL Hocine

1جامعة عمّار ثليجي الأغواط، مخبر اللّغة العربية وآدابها Lakehalhocine3@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/21

تاريخ القبول: 2024/11/7

تاريخ الاستلام: 2023/2/18

Abstract: In ancient times, the Arab faced two bitter enemies. The first was nature and its horrors. As for the second, it was manifested in death as the suppressor of immortality. He had no choice but to surrender or challenge, so he began to challenge. Among the weapons with which he faced death was the weapon of poetry, with which the Arab began to record his life and experiences. Because he realized that death was chasing him and there was no escape from it, and we do not deny that this poet had a close brother, who always stayed up and took care of his brother with the best care. To be straight, it is criticism, which existed after the first poetic stanza that was said; It was simple, spontaneous, orally, and represented general judgments that were neither precise nor profound. This is what we call impressionistic, impressionistic criticism, and based on the recognition of its status and important role; We will try to discover this by answering several problems, including: What is the place of criticism in evaluating and evaluating the Arab poetic product? What are the stages he went through in his upbringing? ; How effective is it in sifting through Arab taste, language, and feeling, and then artistic creativity? Following a descriptive and analytical approach; To answer these questions: In fact, they found criticism an important factor in Arabic literature. We say of his primacy and patronage of literature of all kinds, because the factor of refinement, scrutiny, and sifting is very necessary in all works.

Keywords: criticism, poetry, scrutiny, taste, educational.

ملخص: واجه العربيّ قديماً عدوين لدودين، تجلّى الأول في الطبيعة وأهواها؛ أما الثاني فكان في الموت قانع الخلد؛ ولم يكن أمامه سوى أن يستسلم أو يتحدّى، فراح يتحدّى ومن بين الأسلحة التي جابه بها الموت، سلاح الشعر الذي غدى العربي يسجّل فيه حياته وتجاربه لأنّه أدرك أنّ الموت يلاحقه ولا مناص له منه، ولا ننكر أنّ لهذا الشعر أخ حميم، لطالما سهر ورعى أخاه بأحسن رعاية؛ لكي يستقيم، إنّه التّقد، الذي وُجد بعد أوّل مقطوعة شعرية قيلت؛ وكان بسيطاً عفويّاً شفوياً، تمثّل في أحكام عامّة ليست بالدقيقة ولا العميقة، وذلك ما نسميه بالتّقد الانطباعي التّأثري، وانطلاقاً من التسليم بمكانته ودوره الهام وأهميته في نظرية الأدب وتعليميته الصحيحة للأجيال حتى يتزودون بملكة نقدية قوية وصحيحة؛ سنحاول استكشاف ذلك بالإجابة على عدّة إشكاليات منها بالأساس: ما دور التّقد في تقييم وتقييم المنتج الشعري العربي؟ ما مدى نجاعته وفائدة تعليميته في سبيل غريزة الذّوق واللّسان والإحساس العربي ومن ثمّ الابداع الفنّي؟ متّبعين في ذلك منهجاً وصفياً تاريخياً؛ تحليلياً؛ هادفين الى منح صورة عن مكانة النقد وضرورة تعليمه للنشء لما له من محامد في صون اللسان وغربلته من الزوائد وحماية اللغة من اللحن....؛ وحقيقة وجدنا التّقد عاملاً مهماً في الأدب العربي ونقول بأسبقيته ورعايته للأدب بأنواعه، لأنّ عامل التّقيح والتّمحيص والغريزة ضروري جداً في كلّ الأعمال.

الكلمات المفتاحية: التّقد، الشعر، التّمحيص، الذّوق، التعليمية.

1. مقـدّمة :

كان الشّعر كلّ شيء في حياة العربي الجاهلي، وُلد ونمى وترعرع في أحضانه اجتهد فيه وعكف عليه وتعهّده حتّى كبر وأينع؛ وصار قصائدا، ولكن لا ننسى أنّ لهذا الشّعر أبا حميما، لطالما سهر ورعى الأخ بأحسن رعاية إنّه النّـقـد، لقد وُجد النّقد بعد أوّل مقطوعة شعريّة قيلت وتشعبت الآراء حول البدايات الأولى للنّقد العربي، فمنهم من يرى أنّه ظهر قبل الشّعر، الذي يعدّ خزانة العرب ومستودع علومها، كما قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه :- "كان الشّعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه" (الجمحي، 1974، صفحة 24) ودليلهم على أسبقية النّقد للشّعر، هو أنّ الشّاعر يعدّ أوّل ناقد، وأوّل متلقّ لعمله؛ او كما يعرف في نظرية القراءة عند يابوس وآيزر بالقارئ الضّمنى؛ كما رأى الدّكتور محمد العمري (العمري، 2010، صفحة 48)

وعليه فالغاية من كلامنا هذا هو البحث للإجابة عن إشكالية جوهريّة ؛ تتجلى في معرفة مكانة النّقد في تقييم وتقويم المنتج الشعري العربي؟ وماهي الميكانيزمات الصّوريّة التي ينبغي للمتعلّم والزّاغب في الغوص في هذا الفنّ والتّسلح بها ؟ كذلك محاولة معرفة المحطّات التي مرّ بها في نشأته وما مدى نجاعته في غربلة الدّوق واللّسان والإحساس العربي ومن ثمّ الإبداع الفنّي؟ ومنه وجدنا ذواتنا مجبرين على الاعتماد على الأنسب منهجا في مثل هاته الحالات؛ وهو المنهج الوصفي التّاريخي التّحليلي؛ للإجابة عن هذه التّساؤلات؛ ومقرّين في نهاية مسعانا هذا بأنّ النّقد عاملا مهمّا في الأدب العربي؛ ونقول بأسبقيته ورعايته للأدب بأنواعه، لأنّ عامل التّنقيح والتّمحيص والغربلة ضروري جدّا في كلّ الأعمال والميادين حتّى صانع الآلات اليوم نراه يمكث وقتا طويلا في البدايات الأولى؛ وربما يلغي كلّ عمله الأوّل وجهده؛ انطلاقا من نظرات نقدية، وهكذا حتّى يصل إلى منتج مقبول .

كذلك سنقوم بتقديم نظرة تاريخية، تتخلّلها قواعد تعليميّة لفنّ النّقد؛ والتي تكون بمثابة جرعة علميّة سائغة لكلّ متعلّم راغب في الغوص في بحور هذا العلم لاستكشاف خباياه؛ ومعرفة أسراره؛ والاعتماد عليه لبلورة الجيّد والتّأدّر وإزالة الشّوائب عنهما. (الشوائب بمعنى مايشوب الشيء من عيب وخلل)

لقد بقي العربي يصدق بشعره في أغراض مختلفة، ولهجة قومه، بدأه بأنواع من السجع، ثم اتبعه رجزاً وحين اهتدى للرجز صار شعره صحيحاً، يوضع على محك النقد، وفيه يرى أحمد إبراهيم (1): "أنَّ هذا الشعر مرَّ بضروب كثيرة من التهذيب، حتَّى بلغ ذلك الذي نجده عليه أواخر العصر الجاهلي... فلم يكن طفرة أن يهتدي العربي لوحدة الروي في القصيدة، ولا لوحدة حركة الروي ولا للتصريح في أولها؛ ولا لافتتاحها بالنسيب والوقوف بالأطلال، لم يكن طفرة أن يعرف العرب، كلُّ تلك الأصول الشعرية في القصيدة؛ وكلُّ تلك المواصفات في ابتداءاته مثلاً، وإنما ذلك كله بعد تجارب، وبعد اصلاح وتهذيب، وهذا التهذيب هو النقد الأدبي". (إبراهيم ط..، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، 2004، صفحة 24)

بمعنى لولا النقد وجهوده، لما وصل الشعر إلى ما هو عليه اليوم، ومن هذا كله لا يسعنا إلا أن نقف على أهم المحطات النقدية، التي رافقت الشعر، والنثر معا في العصر الجاهلي، عصر البداية الفعلية، لثنائية النقد والشعر، وكما هو معروف أن الشعر يثير انفعالات، ولا بد لها من استجابات سواء بالسلب، أو الايجاب وعنها يصدر الحكم، وهذا الحكم هو النقد بعينه .

2 . العصر الجاهلي :

تبدو صورة الناقد الحصيف المسموع لكلامه، والمركون لحكمه متجلية في شخصية الشاعر الكبير، زياد بن معاوية المعروف بالثابغة الذباني، فلقد روى الأصمعي (العاكوب، 2012، صفحة 26): "أنَّ الثابغة كانت تضرب (تضرب بمعنى تنصب وتبنى له) له قبة بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض أشعارها عليه فأتاه الأعمش فأنشدته ثم أتاه حسّان فأنشدته : (مهنا، 1994، صفحة 219)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى * * * * * وَأَسْيَافُنَا يَفْطُرْنَ مِنْ نَجْدِهِ دَمَا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ * * * * * فَأَكْرَمُ بِنَا خَالًا وَأَكْرَمُ بِنَا ابْنَمَا

فقال له : "ما صنعت شيئا، قللت أمركم، فقلت جفناوات وأسياف"، لأن كلتا الصفتين دالة على جمع القلة؛ وهو ما لا يتناسب مع الفخر، كما زاد القلة فحشا لفظتا تلمع؛ وتقطر، كما أخذ عليه فخره بمن ولد؛ وليس بمن ولده.

هذه الملاحظات، والانطباعات، شكّلت منطلقاً للدّرس البلاغي، والنّقد المنهجي

فيما بعد، والذي أخذ ينمو ويكبر حتّى صارت له أسسا ومعالما منهجية يحتكم إليها
كانت تلك الشّرة الأولى لاندلاع الملاحظات النّقدية المبنية على منظور عقلي

تدفعها الفطرة والحاسة الفنيّة، والتي تبلورت فيما بعد، لتصبح قواعد ومعايير يحتكم لها.

إذا وُجد النّقد، والنّاقد والشّاعر معاً، يقول الدّكتور طه أحمد إبراهيم: "وُجد النّقد

الأدبي في الجاهلية ولكنه هينا يسيرا، ملائما لروح العصر، ملائما للشّعر العربي

نفسه، فالشّعر الجاهلي احساس محض، أو يكاد، والنّقد كذلك، كلاهما قائم على

الانفعال والتأثر، فالشّاعر مهتاج بما حوله من الأشياء، والحوادث والنّاقد مهتاج

بوقع الكلام بنفسه وكل نقد في نشأته لابدّ أن يكون قائماً على الانفعال بأثر الكلام

المنقود والنّقد العربي لا يشذ عن تلك القاعدة ". (سعودي، 2012، صفحة 13)

لقد كان عند الجاهليين ما يشبه النوادي الأدبيّة في وقتنا، أو الصّالونات الأدبية،

أين يتم عرض البضائع واستقبال حكم التّقويم والتقيّم فلقد روى صاحب الأغاني

(الفرج، الأصفهاني، صفحة 257.258/2) أنّ عبد الله بن قتادة المحاربي قال: "كنت

مع النّابغة بباب النّعمان بن المنذر؛ فقال لي: هل رأيت لبيد بن ربيعة فيمن حضر؟

فقلت: "نعم قال: أيهم أشعر؟ قلت: "الفتى الذي رأيت من حاله كيت، وكيت"،

فقال: "اجلس بنا حتّى يخرج إلينا"، قال: فجلسنا فلمّا خرج، قال له النّابغة: "إليّ يا

ابن أخي" فأتاه، فقال: "أنشدني" فأنشده قوله:

ألم تُلمِّمْ عَلَى الدِّمَنِ الخَوَالِي * * * * * لِسَلْمَى بِالْمَدَائِبِ فَالْقُفَالِ

قال له النّابغة: "أنت أشعر بني عامر زدني" فأنشده:

طَلَّلَ لِحَوْلَةَ بِالرُّسَيْسِ قَدِيمٍ * * * * * فَبِعَاقِلٍ فَالْأَنْعَمِينَ رُسُومٍ

قال له: "أنت أشعر هوازن زدني" فأنشده قوله:

عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمُقَامُهَا * * * * * بِمَنْى تَأَبَّدَ عَوْلَهَا فَرِجَامُهَا

فقال له النّابغة: "أذهب فأنت أشعر العرب".

إنّ المتمعّن لموقف النّابغة يلحظ طريقة الاستدراج، والتدرّج في الحكم، فلقد اختار

الشّاعر أولاً وأصرّ على سماعه حتّى يهيئ للحكم، طبعاً السّماع منه ومعاينة قوله

بالحضور، وفي النهاية أصدر قراره، وتقييمه النهائي له بأنه أشعر العرب، وهذا ليس حكماً اعتباطياً، ناجماً عن هوى، بل حكم خبير بالجزئيات، متمرّس بالدقائق.

كما نجد صورة الناقد، قد أخذت شكلاً آخر، يتمثل في القبيلة قاطبة (قاطبة بمعنى جميعاً أو كلهم)، فمثلاً قبيلة قريش كانت تفضل زهيراً والنابغة، فلقد روى صاحب الأغاني عن حماد الراوية قوله: "كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه كان مقبولاً وما ردّوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمة بن عبدة؛ فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها: (إبراهيم ط.)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، 2004، صفحة 26)

هَلْ مَا عَمِلْتِ وَمَا اسْتَوْدِعْتِ مَكْثُومٌ * * * * * أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومٌ

فقالوا هذه سمط الدهر (قلادة من خرز ونحوه منظوم في خيط واحد، وقيل الخيط ما دام الخرز ونحوه منظوماً فيه)، ثم عاد عليهم العام المقبل، فأنشدهم:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طُرُوبٌ * * * * * بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ

فقالوا: "هاتان سمطا الدهر". (الشنتمري، 1969، صفحة 33 و50)

ف نجد الذوق هنا جماعياً، ليس فردياً، سرى بين أفراد القبيلة الواحدة، الذين تجمعهم أمور شتى كاللهجة والمعتقد والمزاج والعادات والتقاليد مع شيء من اختلاف الرؤى والفكر، ولقد انتبه عرب الجاهلية إلى ميزة هامة وهي تفوق بعض الشعراء في بعض الأغراض، وتلقبهم بصفات يستحقونها، فمثلاً لقبوا الأعشى بصنّاجة العرب (أداة صغيرة مركبة من خشبتين أو قطعتي عظم تُحدثان صوتاً منقطعاً عند تصادمهما، عند إطباق إحداها على الأخرى بقوة.)؛ لأنه ما مدح أحداً قط، إلا رفع له قدره، وكذلك إجادة الخنساء للرتاء وزهير في معاني الحكمة؛ وامرؤ القيس جيد التشبيهات.

لقد كانوا دقيقى الملاحظة؛ بدءاً من الخطأ اللغوي، حتى المعاني والصور فلقد عابوا على النابغة الذبياني خطأ، يعرف في العروض باسم "الإقواء" ويعني اختلاف حركة الزوي، في القصيدة الواحدة فالنابغة لم يأبه لرفع النعت، فجرّه خضوعاً للقفافية وهذا حين قال: (المرزباني، 1385 هـ، .، صفحة 52)

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحُ أَوْ مُعْتَدِي * * * * * عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَعَغَيْرَ مُزَوِّدٍ
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا عَدَا * * * * * وَبِذَلِكَ خَبَرْنَا الْغُرَابَ الْأَسْوَدُ
(البوارح هي رياح شمالية حارة في الصيف)

كذلك من أهم الفكر النقدي عند عرب ما قبل الاسلام، فكرة الرواية وهي أن يلزم الشاعر النأشي؛ الشاعر الفحل لسمع، ويحفظ، ويذيع من شعره بين الناس ويتمثل الجانب النقدي هنا، في إدراك العرب للطبيعة الواحدة؛ أو المتقاربة عند شعراء المدرسة الواحدة، التي يتلمذ اللاحق فيها على السابق، كما تشير المصادر إلى أن كعبا بن زهير، والحطيئة كانا يرويان عن زهير.

وما التّحبير والتّحكّيك والتّنتقيح، سوى سمات نقدية؛ يقوم بها المبدع اتّجاه عمله، من أجل إخراجها في صورة حسنة، فهو يرى أنّ الشّعر ليس تدقّقاً تلقائياً، بل فيه مكابدة، تتجلى في الإضافة والنّقصان واشتهر بهذا الإبداع معهد زهير بن أبي سلمى الشّعري، الذي تخرّج منه كعب بن زهير، والحطيئة وآخرون فهذا سويد بن كراع يقول واصفاً حاله مع الشّعر : (قتيبة، 1977، صفحة 239)

أَبِيْتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا * * * * * أَصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نَزَعَا
أَكَالَتْهَا حَتَّى أَعْرَسَ بَعْدَمَا * * * * * يَكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعِيدَا فَأَهْجَعَا
عَوَاصِي إِلَّا مَا جَعَلْتَ وَرَاءَهَا * * * * * عَصَا مَرْبَدٍ تَغْشَى نُحُورًا وَأَذْرَعَا

كذلك لاننسى ظاهرة الإجازة في الشّعر، والتي هي كما قال ابن رشيق : "وأما الإجازة فإنّها، بناء الشاعر بيتا أو قسيما يزيد على ما قبله". (القيرواني، 1981م،، صفحة 89)

(اصادي؛ يُصَادِيَهُ : أَنْ يُقَابِلَهُ)

أما الجانب النقدي فيها، فيتمثل في أنّها تتطلّب ادراكا وفتنة دقيقة لبنية النسيج اللغوي، والدلالي للنص المحاكى، حتّى يأتي اتمامه على شكل موازي وحسن وهذا يصدر من خبير متمرس بالقيم، والمثل، ولقد ورد في الأغاني⁽³⁾: "أقبل النابغة الأذبياني يريد سوق بني القينقاع، فلحقه الربيع بن ابي الحقيق، نازلا من أطمه فلما سمعا الضجة، وكانت سوقا كبيرة فحاصت بالنابغة ناقته (حاص القوم :جالوا جولةً يطلبون الفرار والمهرب، نكصوا على أعقابهم)، فأنشأ يقول:" (الفرج،الأصفهاني، صفحة 91/23)

كَادَت تُّهَالُ مِنْ الْأَصْوَاتِ رَاجِلَتِي ****

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: "أجز يا ربيع"، فقال:

وَالنَّفْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أُوجِسَتْ حَلْقُ ****

فقال النابغة: "ما رأيت كالיום شعرا"، ثم قال:

نَوَلَا أَنَّهُنَّهَا بِالسَّوْطِ لاجْتَدَبَتْ ****

أجز يا ربيع فقال:

مَيِّ الرِّمَامِ وَإِنِّي رَاكِبٌ لِبَيْقِ ****

وقد تكون الإجازة بشرط أو بيت، مثلما صنع زهير مع ابنه كعب، كما تطلب الإجازة من الصغار والناسئين للوقوف على قدراتهم، وهي تربية للنشء، وإعمال للذهن والقدرات....

كما نجد الحكم النقدي، يصدر عن أمة بأكملها...، وهذا يمثل انطبعا عاما، يشمل عدة قبائل إزاء شاعر أو قصيدة؛ فهذه العرب كلها كما ذكر المرزباني في الموشح زعمت أن المهلهل بن ربيعة (1): "كان يدعى في شعره؛ ويتكرر في قوله أكثر من فعله". (المرزباني، 1995، صفحة 92)

كما ذكر أن الأصمعي، كان يفضل قصيدة سويد بن أبي كاهل، التي مطلعها: (اليشكري، 1972، صفحة 23)

بَسَطَتْ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا **** فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ

وقيل كانت العرب تقدمها، وتعدّها من الحكم .

كما ذكر صاحب العمدة، أن لبيدا الشاعر، سئل من أشعر الناس؟ قال: "الملك الظليل، قيل ثم من؟ قال الشاب القتيل، قيل ثم من؟ قال الشيخ أبو عقيل - يعني نفسه-". (القيرواني، 1981م،، صفحة 95/1).

طبعاً هذه أحكام ليست اعتباطية، فهي صادرة عن تجربة، وحكمة وانتقاد، وفق معايير ثابتة يقول بها المنطق فهذا حكم شاعر على شاعر، كما فطن الجاهليون إلى النسبة والمنسوب في كلامهم، فقد روي أن المسيّب بن علس مرّ بمجلس بني قيس بن ثعلبة، فاستنشدوه، فأنشدهم قوله (3): (الوصيفي، 2003، صفحة 127)

أَلَا انْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَسَلِّمْ **** نَحِيَةَ مَحْرُونٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمْ

فعندما وصل إلى قوله:

وَقَدْ أَتَنَسَى الْهَمَّ عِنْدَ ادِّكَارِهِ * * * * * بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعِرِيَّةُ مُكْدَمٍ

قال له طرفة، وكان صغيرا يلعب: "استنوق الجمل" وضحك منه وسخر لأن الصيغرية سمة الإناث لا الفحول من الإبل؛ فقال له المسيب: "يا غلام اذهب إلى أمك بمؤبدة". (المرزباني، 1385 هـ .، صفحة 95)
(مؤبدة : الأمر العجيب يُستغرب له)

فهذا صبيّ حمله ذوقه وخلفياته الإبستمولوجية، والفطرية والمكتسبة، على غربة وتمحص تلك الصورة التي سمعها من شاعر؛ والتي أحدثت له شرارة كهربائية بين النسبة والمنسوب إليه، وتجلّى ذلك في التعارض والتنافي فتقطن بعد تقييم إلى اصدار حكم منطقي، يوضح الصورة ويزيل الإبهام، وهي صورة الصيغرية .

كذلك الشاعر نفسه أصدر حكما يتماشى ومكانة الصبي الناقد، فهو قد توصل إلى حكم أكبر منه في الحقيقة، وأصغر من الفطرة البشرية، وخاصة العربية الجاهلية، فالمسيب بعد تفحص ودراسة، استنتج ما لهذا الصبي من فطنة وبصيرة نقدية صائبة، وحكم له بالدهاء والإعجاب.

3. النقد في صدر الإسلام :

نقصد به فترة ظهور الدين الإسلامي حتى قيام الدولة الأموية عام 41هـ، لقد كان للإسلام موقف واضح اتجاه الشعر ونقده، فلقد كان موقفه اتجاه الشعر من خلال ثنائية الحلال والحرام، فهو موقف ديني لا بدّ من ارضاء الله فيه، أمّا موقفه من ناحية جيده وريئه، فهذا موقف فني جمالي.

وحرص الاسلام على إخضاع الموقف الجمالي للموقف الديني، والدليل آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم، فلقد بين القرآن المجيد ضرورة التمييز بين التجربة الجمالية والإيمانية، التي هي المنشودة عند الشاعر وغيره وقد تلنقى التجربة الدينية مع الفنية عند الشاعر، مثلما حدث ذلك عند حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهم، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يعرف قيمة الشعر عند العرب

فقال: "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين" (السبكي، 1964، صفحة 224/1) وكان الميزان الذي يوزن به الشعر والشاعر، هو الايمان والاسلام.

ولقد اهتم الإسلام بالمضمون أكثر من الشكل، ولم يتحرّج الرسول عليه الصلاة والسلام من الشعر فلقد علم أنه سلاح، وأعجب بشعر حسان والتأبغة الجعدي، وقال له "لا يفضض فاك" واستحسن لكعب "بانث سعاد" وصفح عنه وأعطاه بردته، واستمع إلى الخنساء وقال "إنّ من البيان لسحرا". (العاكوب، 2012، صفحة 50)

ومارس الرسول صلى الله عليه وسلم، النقد، فلقد سمع كعب بن مالك يقول :

مُقَاتِلُنَا عَنْ جَذْمِنَا كُلُّ فَخْمِهِ * * * * مُذْرَبَةٌ فِيهَا الْقَوَائِسُ تَلْمَعُ

فقال له: "لا تقل عن جذمنا، ولكن قل: "مقاتلنا عن ديننا". (الفرج، الأصفهاني، صفحة

(.154/16)

وروي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم عند ما أنشده كعب بن زهير، قصيدته :

(العاكوب، 2012، صفحة 51)

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ * * * * مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ الْهِنْدِ مَسْلُوبٌ

قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "من سيوف الله" فأصلحها كعب ، كما أمر الأنصار بأن يدافعوا بالشعر مثل السلاح، وفاضل بين شعراء الاسلام، واعتبر شعر حسان، أبلغ تأثيراً في نفوس المشركين، وعليه فقد وظّفه في نصره الدين ومرضاة الله ، ذلك الشعر الذي لا يتجاوز الحقيقة، فالدين يريد من قائل الشعر ألا يخرج عن الحقيقة والصدق، وأن يستعمل الشعر في مواطن الخير .

لقد بقى النقد على ذات حاله نوعاً ما، غير ما أحدث فيه الإسلام من توجيهات تتطابق مع العقيدة والصدق والحقيقة، كما لا ننسى موقف الصحابة الكرام ونقدم وتوجيههم للشعر والأدب، فهذا عمر بن الخطاب؛ يقول عن الشعر: "تحفظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق ويعلم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال...، وينهى عن الأخلاق الدنيئة". (العلوي، 1976، صفحة 356)

وكان عنده زهير، أشعر الشعراء لأنه: "لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع حوشيه ،ولا يمدح الرجل إلا بما فيه " (القيرواني، 1981م،.، صفحة 98/1).فهذه سمات

نقدية هامة جدا، لا تصدر إلا من ناقد متمرس، خبير بالقول، كما يركز على سمة الصدق وذلك من خلال مدح الرجل بما فيه فقط، كما يفضل الشعر الداعي إلى المعاني الحكيمة والأفكار السامية .

وتحضرنا وصيته للحطيئة عند اطلاقه من السجن، حيث قال له : "إياك والمقذع من القول، قال وما المقذع؟، قال: أن تخاير بين الناس، فتقول فلان خير من فلان، وآل فلان خير من آل فلان، قال له الحطيئة: "فأنت والله أهجى مني" (العاكوب، 2012، صفحة 60).

كما عجب من قول عبدة بن الطبيب:

المرء ساعٍ لأمرٍ ليس يُدركه * * * * * والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ

فقال عمر : "على هذا بُنيت الدنيا" (الجبوري، 1971، صفحة 11)

أما سيدنا عثمان-ض- رغم زهده ونسكه، كان يتدوّق الشعر وينظر فيه، وينقده مسببا ومعلّلا لحكمه وأعجب بقول زهير وأثنى عليه. (إبراهيم م.، 1997، صفحة 90/89)

وعند ما نخطّ الرّحال عند رابع الخلفاء الراشدين ؛ الإمام عليّ رضي الله عنه، نجده يجمل لنا القول في صفات الشّاعر، وكذا استراتيجيات الموازنة، والحكم على الشّعراء يقول: "لو أنّ الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد، ونصبت لهم راية فجزوا معا علمنا من السابق منهم، وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة، ولا لرهبة ، فقليل ،ومن هو؟ قال الكندي، قيل ولم؟ قال لأنّي رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة". (القيرواني، 1981م.، صفحة 41،42)

لقد بيّن الإمام عليّ رضي الله عنه لنا شروط الموازنة، وهي وحدة الزّمان والمكان، والغرض حتّى نحكم بالأصحّ كما فضل الشّاعر الذي يقول عن حرية واستقلال، وهذا ما لمحّه رضي الله عنه في شخصية امرئ القيس بن حجر الشّعريّة.

4. النّقد في العصر الأموي :

لقد ضيّق الأمويون على أنفسهم إطار الأنصار وتعصّبوا وأقصوا غيرهم واعتمدوا على بني أمية واليمينيين العرب المقيمين بالشّام مركز خلافتهم، وحاضرة دولتهم، كما أبعدوا الأعاجم، واعتقدوا بأنّ العرب هم أفضل الأمم، وقدّسوا كلّ ما هو عربي صرف،

(الأشقر، 2008، صفحة 32) ورأى الجاحظ بأن دولة بني أمية عربية أعرابية (الأعراب: سُكَّانُ البادية من العَرَبِ خاصّة الذين يتتبعون مساقط الغيث ومنابت الكلاً)، وسنجد لا جرم أنّ للشعر والنقد مكانة هناك، فلقد تنوّعت البيئات والتخصّصات والمصادر والمحطّات، وسنحاول الاقتراب منها لمعرفة حال النقد، والشعر، باعتبارها مرحلة امتداداً لسابق، وسبباً في لاحق.

1.4 الخلفاء:

■ اهتم بعض خلفاء بني أمية وولاتهم بالشعر، والنقد ومنحوه تقديراً كبيراً، ونبداً بطليعتهم وهو:

✓ معاوية بن أبي سفيان - ض - :

اهتم معاوية بالشعر وجعله أعلى مراتب الأدب يقول (القيرواني، 1981م،

صفحة 29/1): " يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب"

وهو هنا يتفق مع رأي عمر بن الخطّاب حين قال: " تحقّقوا الأشعار واطالعوا

الأخبار فإنّ الشعر يدعوا إلى مكارم الأخلاق، ويعلم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال، ويفتق الفطنة ويشحذ القريحة ... ، وينهى عن الأخلاق الدنيئة، ويجزر

عن مواجهة الرّيب، ويحض على معالي الرتب". (العلوي، 1976، صفحة 356)

ومن المواقف النقدية التي تحسب له، قوله لعبد الرّحمان بن الحكم: "يا ابن أخي إنك شهرت بالشعر، فإياك والتشبيب بالنساء، فإنك تفر الشريفة في قومها، والعفيفة في نفسها، والهجاء فإنك لا تعدو أن تعادي كريماً أو تستثير لئيماً (استثار فلاناً: أزعجه، أثار أعصابه)، ولكن أفخر بماثر قومك، وقل من الأمثال ما توقّر به نفسك

وتؤدّب به غيرك" (ربه، 1965، صفحة 281/5)

كما نجده يحدّد موقفه من المدح؛ فيقول: " وإياك والمدح، فهو كسب الأندال ... ،

وإن لم تجد عن المدح بدءاً، فكن كالملك المرادي، حدث مدح فجمع في المدح بين

نفسه وبين الممدوح فقال: (الأصفهاني، د س، صفحة 82/1)

أَحَلَّتْ رَحْلِي فِي بَنِي نَعْلٍ * * * * * إِنَّ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ مُجِلٌ (الشافعي، د س، صفحة

(141)

إذا نجد الخليفة هنا يبدي صورة الناقد الحصيف، العارف بأغراض الشعر وصدى الأبيات في نفوس الشعراء القائلين بها والمتلقين لها، فهو محلل خبير، حطّ من الأغراض الهدّامة للأخلاق، والمحاسر؛ ورفع من التي تبعث على النبل، وتحفظ الكرامة.

✓ عبد الملك بن مروان:

أمّا عبد الملك بن مروان، فيقول: " ما الناس إلى شيء من الأدب أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم؛ التي بها يتعاودون الكلام، ويتعاطون البيان، ويتهادون الحكمة ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ويجمعون ما تفرق منها. فإنّ الكلام قاضي يحكم بين الخصوم، وضياء يجلو الظلم، وحاجة الناس إلى مواده، حاجتهم إلى مواد الأغذية ". نراه هنا يؤكّد على استقامة اللسان، أو ما يعرف بالفصاحة والبيان، ودوره في الحياة، فهو ضروري كضرورة الغذاء، وللوصول إلى هذه المرتبة هنالك عقبات لا بدّ من المرور بها، وعلوم لا بدّ من التمرّن عليها كالنحو والبلاغة؛ والنقد هو المراقب الوحيد الذي يقول لهذا أحسنت، وللآخر أسأت فأصلح، ويقف في مفترق الطريق للإرشاد والتوجيه والغربة، والإنقاذ، إذا لقد تقطّن هذا الخليفة مبكرا لأهميّة استقامة اللسان، وخطر العجمة، والإبهام.

لقد فاضل أبو الوليد بين أغراض الشعر، وأقام وزنا كبيرا للشعر الداعي إلى مكارم الأخلاق من حلم وشجاعة وعفاف، فلقد روى صاحب العقد الفريد، أنّ عبد الملك ابن مروان قال يوما، وعنده أهل بيته وولده: " ليقبل كلّ واحد منكم أحسن شعر سمع به، فذكروا لامرئ القيس، والأعشى، وطرفة فأكثرها حتى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبد الملك: أشعرهم، والله الذي يقول: (ريه، 1965، صفحة 5/ 373)

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمَتْ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ * * * * * بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
إِذَا سُمِّنَتْهُ وَصَلَ الْقَرَابَةَ سَامِنِي * * * * * قَطِيعَتَهَا، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَ الظُّلْمُ

فقالوا: " ومن قائلها يا أمير المؤمنين؟"، قال: " معن بن أوس القرني ". (بابتي، 1995، صفحة 219)

كما نجد له ملاحظات، تتصل بموسيقى الشعر وفنياته، فهذا ابن قيس الرقيات ينشده قائلا: (قتيبة، 1977، صفحة 547)

إِنَّ الْحَوَادِثَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ * * * * * أَوْجَعَنِي وَقَرَعَنَ مَرَوْتِيَه

وَجَبَبْنِي جَبَّ السَّنَامِ وَ لَمْ * * * * يَثْرُكُن رِيثًا فِي مَنَاقِبِيهِ

فقال له مروان: "أحسنت، لولا أنك خنثت في قوافيه" (خنث فلاناً: صيره خنثاً، أظهره بمظهر النساء)، فقال: "ما عدوت كتاب الله: " ما أغنى عني ما لي هلك عني سلطانيه ". (سورة الحاقة، الآية: 27، عدوت: تجاوزت).

وكخلاصة نجد هذا الخليفة الأموي، ابن بيئته وفطرته، فهو ناقد موسوعي تهمه الفصاحة والتصدير والمعاني، وخاصة التي تبنى لا تهدم، وتتق وتتماشى مع دين الله ولا تخالفه، مألوفة ونابعة من احساس صادق وكذلك اهتم بالشكل كما رأينا، لأن اللفظ خادم للمعنى، وهي أهم ركائز النقد والبلاغة .

كما روى أنه كان يفضل البيت الذي يتم فيه المعنى، ويقل من قيمة ما يعرف حالياً بالتنظيم، فقد روى أنه (العاكوب، 2012، صفحة 67): "أدن للناس إذنا عامًا، فقال: أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب، كل بيت قائم بمعناه، فسكتوا ثم طلع عبد الله بن الزبير، فقال هذا مقول العرب وعلّمتها، أبو خبيب، قال: مهيم؟ (مهيم: لفظ استفهام معناه ما خطبك؟، ما أمرك؟،) قال: أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب، كل بيت قائم بمعناه قال: "بثلاث مائة ألف، قال: وتساوي؟ قال: أنت بالخيار وأنت واف، كاف، قال هات، فأنشدته للأفوه الأودي قال: (التونجي، 1998، صفحة 104)

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ * * * * فَلَمْ أَرَى غَيْرَ خَتَالٍ وَ قَالَ

قال: " صدق"، هيه، قال:

وَ لَمْ أَرَى فِي الْخَطُوبِ أَشَدَّ وَقَعًا * * * * وَ أَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

قال: " صدق"، هيه، قال:

وَدُقِفْتُ مَرَارَةً الْأَشْيَاءَ جَمْعًا * * * * فَمَا طَعَمَ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ

قال: "صدق"، ثم أمر له بثلاث مائة ألف. (السيوطي، 2003، صفحة 162)

2.4 الولاية

سنقف عند أشدهم شكيمة و فراسة في تذوق النص الأدبي، وخاصة الشعر وأكثرهم مراسا للخطب؛ والي العراق لعبد الملك بن مروان، فتى ثقيف، الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي سجّل له التاريخ بعض الملاحظات النقدية فقد ذكرت الروايات مايلي: " قال الحجاج

للفردق وجريز، وبين يديه جارية، أيكما مدحني ببیت فضلى فيه؛ فهذه الجارية له، فقال الفردق: (المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، دس، صفحة 143)

فَمَنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ وَ الطَّيْرَ تَتَّقَى **** عَقُوبَتَهُ إِلَّا ضَعِيفَ الْعَرَائِمِ

وقال جريز :

فَمَنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ أَمَا عِقَابُهُ **** فَمَرٌّ ، وَ أَمَا عَهْدُهُ فَوَثِيقُ

(ديوان جريز، ص315).

فقال الحجاج: "والطير تتقى عقوبته" كلام لا خير فيه، لأن الطير تتقى كل شيء الثوب، والصبي وغير ذلك، خذها يا جريز"، وعليه نلاحظ هنا تركيزه على المعنى الصحيح الواقعي، رغم اتفاق الشاعران في المبنى الخارجي وهذا يدل على نظرة ناقد عالم بمواطن الإجابة، والإساءة في المعاني، كما لا ننسى أن الحجاج من مشاهير الخطباء العرب بخطبه المشهورة، التي تعكس بلاغته، ومعرفته بالقول الرائع المؤثر يقول عنه مالك بن دينار⁽²⁾: "ما رأيت أحدا أبين من الحجاج بأنه كان ليرقى المنبر، فيذكر إحسانه إلى أهل العراق، وصفحه عنهم، وإساءتهم إليه، حتى أقول في نفسي، إني لأحسبه صادقا، وإني لأظنهم له ظالمين" (الجاحظ، 1980م، صفحة 394/1)

فهذه شهادة على قوة حجته، وفصاحة بيانه وتأثيره في الغير، بالافتناع والامتناع،

أفلا يكون هذا النوع من الخطباء، نقادا بالبديهة، والتجربة معا.

كما يروى أن ليلة الأخيلية قدمت عليه، فأنشده⁽³⁾: (المبرد، دس، صفحة 360/1)

إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجَ أَرْضًا مَرِيضَةً **** تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاها

شَفَاها مِنَ الدَّاءِ الْعَقَامِ الَّذِي بَهَا **** غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ تَنَاها

(القناة : الرمحُ الأجوف)

فقال لها: " لا تقول (غلام)، بل قولي : (همام) . (الصمد، دس، صفحة 89/88)

وليلي الأخيلية شاعرة من شاعرات العرب، ولها قصة مشهورة مع معاوية بن أبي سفيان (يموت، 1934، صفحة 145)، فهذه واحدة من ملاحظاته الدقيقة، لدور

المعنى في البيتين من خلال مفردة واحدة فقط .

3.4 نقد النساء :

لقد كانت المرأة العربية الشريك الثاني للرجل، في ميادين عديدة كالحرب والسلم وقول الشعر والخطب ورواية الأحاديث، وتفسير كلام الله، والتاريخ روى لنا أخبار النساء، والفنون التي اشتهرن بها، ومن هذه الفنون فنّ النقد، الذي نجد في طبيعته النسوية، في عصر بني أمية، امرأتان كانتا قد اشتهرتا بالنقد، وتمييز الجيد من الرديء، الأولى من آل البيت وهي السيدة : سكينه بنت الحسين -ض- ، والثانية هي عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب -رضي الله عنهما-، وسنبداً بالسيدة :

• سكينه بنت الحسين -ض- :

دار معظم نقدها حول سيكولوجية المرأة، وهذا من خلال ملاحظتها في غرض الغزل، فقد روى المرزباني من أحدهم قوله (المرزباني، الموشح في مآخذ العلم على الشعراء، 1995) : " مررت بالمدينة فعجت إلى سكينه بنت الحسين، لأسلم عليها فألفت على بابها الفرزدق وجريز وكثير عزة، وجميل بن معمر، والناس مجتمعون عليهم، فخرجت جارية لها بيضاء فقالت: " يا أبي الزناد، شغلك شعرائنا عن البعثة إلينا بالسّلام، قال :قلت أجل، وما أقبلت إلا للسّلام عليكم". فدخلت ثم خرجت، فقالت: " أين الفرزدق؟ - تقول مولاتي لك : أنت القائل؟ :

هما دلتاني من ثمانين قامه **** و ذكرت الأبيات ...

قال نعم، قالت: "سوءة لك، أما استحييت من الفحش تظهره في شعرك، ألا سترت عليك؟ أفسدت شعرك، ثم دخلت وخرجت فقالت: أيكم جريز؟، أنت القائل؟: (ديوان جريز، 1986)

سَرَتِ الْهُمُومُ فَبِتْنِ غَيْرِ نِيَامٍ **** وَ أَخُوا الْهُمُومُ يَرُومُ كُلَّ مَرَامٍ
طَرَفَتِكَ صَائِدَةَ الْقُلُوبِ وَ لَيْسَ دَا **** وَقَتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِ بِسَلَامٍ

قال: نعم، قالت: "كيف جعلتها صائدة لقلبك، حتى إذا أناخت ببابك، جعلت دونها سترك...". (المرزباني، الموشح في مآخذ العلم على الشعراء، 1995، صفحة 202)

إذا ما يستفاد هنا، أنّ السيدة سكينه تمثل الحكم والنقاد المتمرس، تماماً مثلما كان التابعه يصنع وهذا أمر يعكس خبرتها الفنيّة وتجربتها مع الشعر خاصّة، ولقد قال عنها صاحب الأغاني: " أنّها كانت برزة -أي جميلة- تجالس الآجلة من قريش، ويجتمع

إليها الشعراء وكانت ظريفة مازحة" (سلام، دس، صفحة 4)، وقيل أنها كانت زوجة مصعب بن الزبير ولها شعر ترثيه فيه. (يموت، 1934، صفحة 171)
 أمّ المرأة الثانية التي سنلقتي بها في هذا العصر، والتي ستمثل لنا الحكم الثاني،
 والناقدة الثانية ليست ببعيدة النسب عن الأولى، فهما من بيئة واحدة، وفرع واحد هو
 الفرع الهاشمي.

• عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب - ض - :

قال عنها صاحب الموشح (العاكوب، 2012، صفحة 104): "كانت عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب تجلس للناس، فبينما هي جالسة، إذ قيل لها العذرى بالباب، فقالت: "اذنونا له بالدخول"، فدخل فقالت له: "أ أنت القائل؟":

فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا بَكَيْتُهَا * * * * * وَلكِنْ طَلَابِيهَا مَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

إنما تطلبها عند ذهاب عقلك، لولا أبيات بلغتني عنك، ما أذنت لك، وهي: (نفس المرجع)

عَلَقْتُ الْهَوَى فِيهَا وَلِيدَا فَلَمْ يَزَلْ * * * * * إِلَى الْيَوْمِ يُنْمِي حُبَّهَا وَ يَزِيدُ
 فَلَا أَنَا مُجْرِمٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبٌ * * * * * وَ لَا حَبَّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ
 يَمُوتُ الْهَوَى مَنِي إِذَا مَا لَقَيْتُهَا * * * * * وَ يَحْيِي إِذَا مَا فَارَقْتَهَا فَيَعُودُ

ثم قيل هذا كثير عزة والأحوص بالباب، فقالت: اذنونا لهما، ثم أقبلت على كثير فقالت: أما أنت يا كثير فألام العرب عهدا في قولك: (عباس، 1971م، صفحة 523)

أَرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا * * * * * تَمَثَّلَ لِي لَيْلَى فِي كُلِّ سَبِيلِ

ولم ترد أن تنسى ذكرها؟ أما تطلبها إلا إذا مثلت لك؟، أما، والله لولا بيتان قلتها ما التفت إليك، وهما قولك:

فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي هَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ * * * * * وَ يَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَ بَيْنِهَا * * * * * فَلَمَّا انْقَضَ مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

(سَلْوَةُ مِنَ الْعَيْشِ: رَغْدٌ مِنْهُ يُسَلِّي عَنْ الْهَمِّ)

كما قيل أنها كانت تقول الشعر، ولها في وقعة كربلاء، بعد مقتل الحسين -ض- أبياتا (العاكوب مرجع سبق ذكره صفحة 211)

إذا ومن خلال الناقدتين، يتجلى لنا أنّ حكمهما النقدي، دار حول فنّ الغزل الذي يصوّر لك العاشق وشدة صوابته، وموقع آلامه، أمّا النسيب الذي في هذه المعاني فلا قيمة له عندهما، فهما قد وقفتا على المعاني أكثر في المباني، ومالتا إلى تصوير الأحاسيس، بصدق عقلي ثم عاطفي، يتماشى ونظرة المجتمع، وأحكام العرف والبيئة، ولا يخلو من الجدة، وأغلبه يهتم بالمعاني، والتّصوير البياني، والصدق ورسم الحقيقة، كما أنّ أغلب النقاد هم شعراء، قبل أن يرسلوا أحكامهم النقدية التي تمتاز في عمومها بميزة الغنائية.

5. النقد في العصر العباسي:

لقد رفدت ثقافتا اليونان والفرس، الأدب العربي في العصر العباسي، فانتعش ولمع وتطوّر وبرز فيه خيرة أعلامنا كالجاحظ، وابن المقفع، وقدامة، والمتنبي والمعري....

وسبب ألمعيتهم هو إحساسهم، بوجود روح في آداب غيرهم، عكفوا على جلبها لتغذية أدبهم العربي الذي كان قبلهم عربياً صرفاً، وخاصة مع الأمويين.

ولا يظنّ المرء أنّ امتصاص النحلة، لرحيق الزّهرة يذبلها، أو يحوّر النحلة شيئاً آخر، فالأدب الذي لا يطعم وليس لديه قابلية للتمازج سيجمد، ويموت، يقول غوتيه الألمان: "ينتهي كل أدب إلى الضيق بذات نفسه، إذا لم تأت إليه نفائس الآداب الأخرى، لتجدد الخلق في ديباجته" (التونجي م.، 1995، صفحة 28)، هذا ما حدث لأدبنا العربي فيما بعد العصر العباسي، عصر الازدهار.

لا جرم أنّ العرب قد مسّتها نفحة التقدّم، والرّقي، في عصر بني العبّاس الذي اتّسعت فيه الأمصار واختلطت فيه الأجناس، وتنوّعت فيه اللهجات، والثّقافات والأفكار، وبرز مالم يبرز عند الأمويين، ومن المؤكّد أنّ تلك النفحة قد داعبت ناصية الأدب، وسرت في عروق النقد، والسؤال الذي يطرح هنا، هو كيف هي حال النقد آنذاك؟ وهل تحوّر أم بقي على ما كان عليه؟

أي في صورته الأولى، المعتمدة على الغنائية، والدّوق والسليقة، والمتجلية في صورة ملاحظات عابرة، تفتقر لمعايير وقوانين مضبوطة، فردية، أم تغيّر؟ .

وعليه سنحاول في هذه السطور، أن نقف على حالة النقد وحقيقته، محاولين
تعليل كل نمط جديد مبرزين ذلك بلمحة تاريخية، وشواهد أدبية، تمس جوهر وحقيقة
النقد الأدبي، في هذا العصر.

لقد كان النقد العباسي يعتني كذلك باللغة، في أحكامه الذوقية، فهذا المبرد يرى
أن أبا العتاهية، كان كثير السقط واللحن، ومما أخطأ فيه قوله :

و لَرَبْمَا سَأَلَ الْبَخِيلُ الشَّيْءَ لَا يَسْوَى فَتَيْلَا ****

فالخطأ في قوله: "لا يسوى" والصحيح هو: "لا يساوي" لأنه من ساواه يساويه وكذلك
عرف اللحن عند أبو نواس، وكذلك الإفراط، فهذا "محمد بن يزيد" يقول عنه: "وليس
عندي بالمحمود، لما فيه من الإفراط" في قول أبي نواس عن الخمر (العتاهية،
1986، صفحة 383)

عَنَقْتُ حَتَّى لَوْ اتَّصَلْتُ **** بِلِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمٍ

ومن الفكر النقدية التي تبلورت في هذا العصر، نذكر ظاهرة الموازنة بين
الشعراء، والتي يرافقها شيء من التعليل والتوضيح والشرح، فقد سأل أبو حاتم
السجستاني الأصمعي، قائلاً⁽³⁾: "أبشار أشعر أم مروان؟" قال بشار أشعرهما، قلت
وكيف ذلك؟ قال: لأن مروان سلك طريقاً كثر سلاكه فلم يلحق بمن تقدمه؛ وأن
بشار سلك طريقاً لم يسلكه أحد، فانفرد به وأحسن فيه، وهو أكثر فنون الشعر..."
(قصبجي، 1996، صفحة 36/35)

ومن الفكر كذلك نفورهم من عيب تنافر الحروف، وكثرتها في بيت واحد، فقد
ذكر أبو بكر الجرجاني قال: حدثنا أبو العيناء قال: أنشد اسحاق الموصلي
الأصمعي، قوله في غضب المأمون عليه: (المرزباني مرجع سبق ذكره ص 340)

يَا سَرَحَةَ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ **** أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرَ مَسْدُودٍ

لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَيَامَ بِهِ **** مُحَلِّلاً عَنِ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ

(سرح الشخص: تصرف بحرية من غير قيد)

فقال له الأصمعي: "أحسن في الشعر، غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية
الكرسي لعابتها؛ فنقد الأصمعي هنا ايقاعي، ميّز فيه بين التناغم وانسجام
الحروف، وأثرها على السمع

كما خطى النقد خطوات جبارة في عصر العباسيين، وابتعد عن العواطف والعصبية، وانقسم اتجاهات وشعب غير أنه لم ينسى روحه القديمة، وانبثق في أربع ذهنيات هي:

- ذهنية اللغويين:

كانوا مبثوثين في البصرة، والكوفة وبغداد، والرّي، يؤدّبون أبناء الخلفاء، ويؤلفون الكتب، منهم أبو سعيد السّكري وأبو العباس ثعلب والمبرد.

- ذهنية الأدباء:

هم الشعراء والأدباء وعلماء الأدب، الذين اهتموا بالحديث واحتقوا به وحلّوا عناصره ومنهم عبدالله بن المعتز صاحب كتاب **(البدیع)** الذي اهتمّ بنقد المحدثين، وصاحب رسالة في محاسن شعر ابي تمام ومساويه، وهذه الطائفة توازن بين الشعر الحديث آنذاك والقديم.

- ذهنية العلماء:

وهم الذين أخذوا قسطاً قليلاً من المعارف الأجنبية، يعتمدون على القديم في الرّوح والشّواهد، ويتأثّرون بالمعارف المنقولة ومنهم ابن قتيبة.

- ذهنية العلماء الذين تأثّروا بالثقافة اليونانية:

وفيه من يسميهم بأصحاب الاتجاه الفلسفي المنطقي، وخير من يمثلهم قدامة بن جعفر صاحب كتاب "نقد الشعر"⁽¹⁾

كانت هذه هي أهم المحطّات التي ستدور في رحابها معارك النقد الأدبي العربي، ولكلّ ذهنية سندات ودعائم وشروحات وشواهد، وقبل أن نأخذ كرونولوجياً لأهم المؤلفات النقدية، سنورد بعض الشّواهد النقدية والملاحظات الجوهرية بالرغم من كثرتها واختلافها، وتنوعها، ولقد عالج النقد عدّة حقول منها، البناء اللّغوي والسّرقات الأدبيّة والجودة والرّداء والنّظم والوزن والفنّ والأخلاق، والدّين وكذلك الدّاتية والموضوعيّة في الإدراك الجمالي للأدب وتنقيح الشّعر؛ وانتحاله وضياع قدر كبير منه، ومرجعية الحكم النّقدي، ومشكلة اللفظ والمعنى.

لقد ظهرت في الأدب العربي إبان عصر العباسيين نزعتان، احدهما تميل إلى تمجيد الماضي، وتحاول الحفاظ عليه وتخشى الانفتاح، فهي تعدّ امتداداً للعهد الجاهلي والأموي، وعلماء هذه المدرسة عكفوا على دراسة أدب القدامى ومنهم الخليل والكسائي،

والأصمعي...، حتّى في نقدهم كانوا يسبّرون على خطى القدامى، أمّا الاتجاه الثاني؛ فهو النمط العلمي في الأدب والنقد، قام بوضع المؤلفات واستنباط القواعد والأحكام ولعلّ صاحب "طبقات فحول الشعراء" من أولهم، فلقد تناول عدّة أفكار نقدية، جوهرية جديدة منها:

1- ثقافة الناقد وطبيعتها.

2- مرجعية الحكم النقدي.

3- أولية الشعر وتنقله وانتحاله وضياح قدر كبير منه.

ثمّ تبعه فيما بعد ابن قتيبة، ومن أفكاره النقدية في مؤلفه (2) ما يلي:

- الموضوعية في النقد والأحكام النقدية.

- اختلاف شعر الشعراء.

- التكلف والطبع.

كما دعى إلى عدم التفرّق في الوزن بين القديم والحديث، فصفة الجودة والرداءة موجودة في كليهما، بعده سطع نجم صاحب كتاب "البديع" لابن المعتز مشيراً إلى وجود البديع في أدب الجاهلية والإسلام؛ وكان ممّا أحدثه هو استخدامه لمصطلحات تخصّ أنواع البديع... .

كما لا يفوتنا نجم قدامة بن جعفر، وكتابه التّمين "نقد الشعر"، الذي قسمه إلى قسمين نظري، وآخر تطبيقي؛ تطرّق في النظري إلى ما يلي:

- تعريف الشعر وأوصافه، وأسبابه، ومكوّناته.

- الجودة و الرداءة، في الأسباب الأربعة المكوّنة للشعر .

- طبيعة الشعر، الغلوّ والمبالغة في المعاني.

ثمّ ظهرت مدرستان ذواتا شأن كبير، إحدهما تفضّل الحرية، والأخرى محافظة تسير على منوال القدامى وتجلّى أوّل صراع بينهما حول الشعارين، البحتري، وأبو تمام، فجاء على هذا مؤلفان هما: الصّولي، والآمدى وكلاهما سار سيرة نقدية في عملهما، وخطا بالنقد خطوات محسوبة... .

ثمّ ظهر صاحب "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، ورأى أنّ المعاني مطروحة أمام الشعراء، لا عيب على الشاعر إن أخذها، واستعملها، وألبسها لفظاً جديداً ...

، كما تطرّق لبعض القضايا النقدية، مثل: السرقات الشعرية وعمود الشعر والتّعقيد والغموض. (أمين، دس، صفحة 389)

ثم جاء صاحب اليتيمة، الذي لا يخلو كتابه من نظرات نقدية، لطيفة، تجلّت في ذكر محاسن ومساوئ شعر المتنبي (المرجع السابق 390)، بعدها يطلّ صاحب الصناعتين، الذي رأى فيه أحمد أمين، أنّه حوّل النقد إلى بلاغة وتبعه الناس فيما بعد؛ مثل عبد القاهر الجرجاني الذي ألف الأسرار والدلائل، وكان من أنصار المعاني، وأدرك أنّ بعض الألفاظ، تحسن في النثر وتحسن في الشعر، كما ربط النحو بالمعاني، وعنده للأسلوب شأن عظيم، في تقريب المعنى أو ابعاده... (المرجع السابق 391)

كما ينبغي الإشارة إلى صاحب رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، وإن كان هنا نقده خيالياً، فقد وجدنا عنده رسائل نقدية كرسالة نقد إمرؤ القيس، ونقد لأبي تمام في رسالته "ذكرى حبيب" والبحثري في رسالته "عبث الوليد"... فهو فيهم كلّهم ناقد فلسفي، ديني، أدبي... .

ثم جاء صاحب العمدة "في صناعة الشعر ونقده"، وتعرّض لمحاوّر نقدية مثل: عناصر الشعر وفضله وبواعثه، وأشار إلى طبقات الشعراء، وإلى القوافي والأوزان، والأغراض. ثم بعده ظهر ابن سنان الخفاجي، بكتابه "سرّ الفصاحة"، الذي تكلم فيه عن السجع، وذكر نماذج عنه وبعده أطلّ صاحب المثل السائر، الذي أبدى التفاتات أدبية رائعة... (المرجع السابق 392)

إنّ ما يمكن تأكّيده، أنّ النقد في العصر العباسي، ليس هو النقد كما عهدناه من قبل، فلقد صار متشعب النواحي دقيقاً قائماً على البلاغة والفلسفة والمنطق، وكل المعارف التي دخلت عالم المثقّف العربي إثر حركة التأثير والتأثر.

6 . خاتمة:

لقد توصلنا من خلالها عملنا المتواضع هذا إلى كون النقد في الأدب العربي القديم بشقيّه المنظوم والمنثور؛ متجدّر ومتأصل ولا يمكن فصله عن الابداع الأدبي فهو من يغربل عناصر الابداع ويشرح أسباب جماله وقوته أو رداءته وضعفه، وهو أمر فطري في الإنسان، ولم يظهر هكذا ناضجاً مكتملاً من البداية بل مرّ بضروب ومراحل طويلة

بدءاً بالجاهلي، ولقد ساهمت في نضجه وبلورته عدّة أطراف متباينة العقائد والتوجّهات؛ وحتّى السياقات والمقامات الاجتماعية والسياسيّة والاقتصادية ونحن هنا لا ندعي تحصيل الوافر والإلمام بجميع الجوانب، فمثلنا مثل الغوّاص الذي كلّما غاص من أجل جوهرة أعجب بغيرها ولم يقنع إلاّ بالعديد منها، فجوانب التّقيب والبحث في هذا الموضوع بحاجة إلى مزيد من الجهد والاستكشاف؛ وإمطة اللّثام ومازالت عدّة نقاط بحاجة إلى البحث والتّوضيح، فالمجال واسع، والمادّة الخام غزيرة؛ ولا ندعي الكمال فعملنا نسبي ويعدّ قطرة من بحر قابل للزيادة والتّقصان والتّمحيص

7. المصادر والمراجع

- ابن رشيق، القيرواني. (1981م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (الإصدار ج1، المجلد5). دار الجيل.
- ابن سلام الجمحي. (1974). طبقات الشّعراء (المجلد 1). القاهرة، مصر : مطبعة المدني.
- ابن عبدربه. (1965). العقد الفريد (المجلد 1). القاهرة، مصر : مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر.
- ابن قتيبة. (1977). الشعر والشّعراء (المجلد 3). القاهرة.
- أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد. (د س). الكامل (المجلد 2). د م، مصر: دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- أبو الفرج، الأصفهاني. الأغاني I (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت، لبنان : دار صادر .
- أبو زيد نوارى سعودي. (2012). ممارسات في النقد اللسانيات. سطيف، الجزائر : بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
- ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ. (1980م). البيان والتبيين (المجلد 1). القاهرة، مصر: مطبعة لجنة التّأليف والترجمة.
- أحمد أمين. (دس). النقد الأدبي (المجلد 1). القاهرة، مصر : شركة عربية للترجمة والنشر.
- الراغب الأصفهاني. (د س). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. بيروت: بيروت.
- السبكي. (1964). طبقات الشافعية الكبرى (المجلد 1). القاهرة، د ب: مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- السيوطي. (2003). تاريخ الخلفاء (المجلد 1). بيروت: دار ابن حزم.
- المرزباني. (1995). الموشح في مآخذ العلم على الشعراء (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- المرزباني. (1995). الموشح في مآخذ العلم على الشعراء (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- المرزباني. (د س). الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. القاهرة: دار الفكر العربي.
- المظفر بن الفضل العلوي. (1976). نضرة الإغريض في نصرة القريض (المجلد د ط). دمشق، سوريا : مطبعة طربين.
- تح : د. واضح الصمد. (دش، دس). ديوان ليلة الاخيالية . بيروت، لبنان: دار صادر.
- تح: عبد الرحمان محمد الوصيفي. (د ش، 2003). ديوان المسيب بن علس. I . د م، د ب: مكتبة الآداب.

- تح: محمد التونجي. (1998). ديوان الافوه الاودي. I . بيروت، لبنان: دار صادر.
- تح: عزيزة فوال بابتي. (1995). ديوان عبيد اله بن قيس الرقيات. I . بيروت، لبنان: دار الجيل.
- تصحيح، مصطفى عبد الشافي. (دش، د س). ديوان امرؤ القيس. دم: دار الكتب العلمي.
- جمع وتحقيق: بشير يموت. (1934). شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام. I . المكتبة الأهلية.
- د.غازي ظليمات و أ.عرفان الأشقر. (2008). الشعر في العصر الأموي (المجلد 1). (عرفان غازي ظليمات الأشقر، المحرر) دمشق، سوريا: دار الفكر.
- د: يحي الجبوري. (دي د ش، 1971). شعر عبدة بن الطبيب . دم، دب: دار التربية للطباعة والنشر.
- د:إحسان عباس. (1971م). ديوان كثير. دار الثقافة . بيروت، لبنان.
- ديوان أبي العتاهية. (دي دش، 1986). ديوان أبي العتاهية. I . بيروت، لبنان.
- ديوان جرير . (1986). دار بيروت للطباعة والنشر .
- ديوان جرير . (دي دش، 1986). دم: دار بيروت للطباعة والنشر .
- ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1986 م ، (بلا تاريخ).
- ديوان سويد اليشكري. (د ش، 1972). ديوان سويد اليشكري. I ، 23. دم، دب.
- سورة الحاققة، الآية: 27، عدوت: تجاوزت. (بلا تاريخ).
- شرح الأعلم الشنتمري (المحرر). (دي د ش ، 1969). ديوان علقة الفحل . I . حلب، سوريا: دار الكتاب العربي.
- طه احمد إبراهيم. (2004). تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري. مكة المكرمة ،: مكتبة الفيصلية .
- طه احمد إبراهيم. (2004). تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري (المجلد د ط). مكة المكرمة: مكتبة الفيصلية.
- عبد أ مهنا. (1994). ديوان حسان (المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- عصام قصبجي. (1996). أصول النقد العربي القديم . حلب : منشورات جامعة حلب ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية .
- عيسى علي العاكوب. (2012). التفكير النقدي عند العرب (المجلد 9). روية، الجزائر ، الجزائر : دار الوعي للنشر والتوزيع.
- محمد التونجي. (1995). الآداب المقارنة (المجلد 1). بيروت، لبنان : دار الجيل بيروت.
- محمد العمري. (2010). البلاغة العربية أصولها وامتداداتها (المجلد 2). دم: افريقيا الشرق.
- محمد زغلول سلام. (د س). ، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع هجري (الإصدار مطبعة الأطلس، المجلد 1). الاسكندرية: منشأة المعارف الإسكندرية.
- مصطفى عبدالرحمان إبراهيم. (دش، 1997). في النقد الأدبي القديم عند العرب. مكة، السعودية: مكة للطباعة.